

كتون

امراقنا الشعراء

AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT



فيليد صالح الدقو

تلفون ٢٢٢٩٧٧

هذا الكتاب 892.7109

G198uA

C.2

أُمْرَاؤُنَا الشُّعْرَاءُ

تأليف

عبد الله كنون

المطبعة المعديّة - تطوان

هذا الكتاب

مؤلف باسم صاحب السمو الخليفة السلطاني المعظم

مولانا الحسن بن المهدي وبرسم خزانته القيمة

إذ كان هو رافع راية المروبة في

هذه المنطقة وعصام الدين

وراعي النهضة العلمية

بما يمدّها به من عطف

وتشجيع

أدام الله

تأييده

أمين

وفيما يلي صورة الكتاب الكريم الذي تلقاه المؤلف من

حضرة الشريفة جوابا عن تقديمه إليها هذا الامر الضئيل

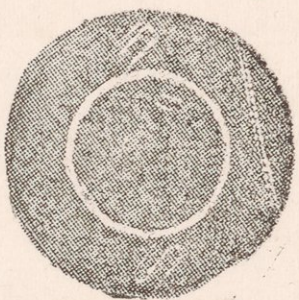
وهو نموذج رفيع من الانشاء الاندلسي البديع في

ظننا انه قل في بلاطات البلاد العربية اليوم من

ينسج على منواله

وصل الله تعالى شراؤنا بمحزون الله وسلم

الحمد لله



انسان يحى البصر والنجاة ولسان حوى الاحسان وراى حاجى هاجى البغية العلة منه ايتى حديث
 الشير محمد الله جنون وصل الله حبله باعته القوران وراى وضلك به راى النكته ووصل الخراب
 قلبيما من كرمك الضاربة منى ابرار باع بسهم مصيب انا لخرقة من كمال الباع بالهرز منى فسوق
 العارضة بالنعصيب مخجبا بعثت به ، اثار طرطى الغنى وراى اية من مرافرها وصحت بسى
 وابافه من ثقتهم ايتى دينة بين اوانسها وشواردها وكلان لك البصر في احياء ، فلما الهز بسى
 ايتى دى العز بسى بعد انراسه والشرى عليه بصرو الهزيمة حتى تحركت بغير شعور انبعاثه
 ولا حرو وقدرنا بسى براعتك بيراهه بسى ونال كبد وناسفت بين ذررة النعينة وكبر الكبد وشاريت
 به انذرية زلده بسى كبر اوقا افعانه ونجته مولا كبد

مستسقى به زاهرات الى يا حذر
 كالعقارب الكهرك كراجنى
 شكى الله شعيتا لغيره وخطب محلك غنى به حيسى الرفض والصلام عليك وحيث الله وده شعيتا عام 1361

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

يعجبني الموضوع ولو كان تافها اذا كان طريفا لم يعرض بعد في السوق. ولا اكره الي من الموضوع المبتذل أقرأ فاحرى أنشئه ولذا فاني افضل الكتابة القليلة مع الطرافة على الكتابة الكثيرة والابتذال.

وهذا الموضوع الذي بين يدي الان، لا شك في طرافته فانك لا تجد بين مجموعات الشعر الكثيرة، مجموعة تضم بين دفتيها شعر امراء بلد من البلاد العربية كالمغرب مثلا. وما صنعه الصولي من جمع شعر خلفاء بني العباس فهو خاص بشعر امراء دولة واحدة من الدول العربية لا يشرك معها غيرها. حتى كان الخليفة المستنصر الاموي الاندلسي يود من يؤلف له في شعر خلفاء بني امية مثل تاليف الصولي. وعلى ذلك فهو بخلاف موضوعنا هذا الذي يجمع شعر امراء الدول المتعاقبة على المغرب كلها بدون تخصيص

واعظم فائدة متوخاة من عمل هذا المجموع أن يرى فيه، من لا زال لم ير، جانبا من الانتاج الادبي المغربي الخصب الصادر عن طبقة هي من ابعد الناس عن الكتابة والشعر وصناعة القلم على

العموم لاشغالها بمهام الرئاسة، وشؤون السياسة، وحفظ الثغور،
وضبط الامور، وهي طبقة الامراء. فلعله بعد ذلك يسلم بمسا لابناء
هذا القطر السعيد من النبوغ والعبقريّة واستجماع اوصاف الكمال
في كل مجال.

واذا كانت اقوال الامراء وافعالهم أميرة الاقوال والافعال
فهذا شعرهم امير الشعر. لما فيه من الاخيلة البديعة والمعاني،
الرفيعة. والالفاظ المتخيرة، والاساليب المحررة، ولا تنس قصة
ابن الرومي الذي قيل له لم لم تقل كعبدالله بن المعتز.

كان اذريوننا والشمس فيه كاليه

مداهن من فضة فيها بقايا غاليه

فقال هو لا يقدر ان يقول مثل قولي في وصف الرقاقة

ان انس لا انس خباز امرت به يدحو الرقاقة وشك الملح بالبصر

ما بين رؤيتها في الكف دائرة وبين رؤيتها قوراء كالقمر

الا بمقدار ما تنداح دائرة في صفحة الماء يرمى فيه بالحجر

قال وكل منا بصف اواني بيته - ففي هذه القصة تقرير لتلك

النظرية وهي ان شعر الملوك في جوهره وعرضه غير شعر السوقة

وان بينهما ما بين الطبقيين من التفاوت وقديما حكم بهذا الامام

(1) همام حيث يقول:

(1) نعني امام الشعراء في وقته همام بن غالب التميمي المعروف

بالفرزدق، فلا يظن القارى انه احد ائمة الدين، وهذا من تملجات الادب.

ولبيت قصة تطلب في مظانها.

وخير الشعر اكرمه رجالا وشر الشعر ما قال العبيد

ثم هذا لا ينفي ان يكون في بعض هذه الاشعار التي
نرويها ضعف او تخلف، فان الامراء على رفعة قدرهم كالناس
فيهم المصلي والمجلي، والموفي على الغايات والمستولي، ومن
حسب الناس طبعا واحدا فهو خلو من العلم براء من الذكاء.
وهذه هي الاشعار مرتبة بترتيب الدول، الاولى فالاولى
والامراء الاول فالاول، وبالله التوفيق وعليه المعول.

الدولة الادريسية

من شعر الامام إدريس بن إدريس بن عبد الله رضي الله عنه يخاطب بهاول بن عبد الواحد المصغري، وكان من خاصته واركان دولته فاستماله ابن الاغلب صاحب افريقية حتى بايع المرشيد:

ابهاول قد حمت نفسك خطئة تبدلت منها ضالة برشاد
اضالك ابراهيم مع بعد داره فاصبحت منقادا بغير قياد
كانك لم تسمع بمكر ابن اغلب وقدماء رعى بالكيد كل بلاد
ومن دون ما منتك نفسك خاليا ومناك ابراهيم شوك قتاد
وكان ابن الاغلب قد دس الى راشد مولى ادريس الذي
كفاه منذ ولادته، من قتله غيلة وقال في ذلك:

الم ترني بالكيد ارديت راشدا وانني باخرى لابن ادريس راصد
تناوله عزمي على بعد داره بمعتومة يحظى بها من يكابد
فهذا الذي يشير اليه مولانا ادريس من كيد ابن الاغلب ومكره

وكتب الى ابراهيم بن الاغلب يدعوه الى طاعته والكف
عن ناحيته ويذكر قرابته من الرسول صلى الله عليه وسلم وفي
اسفل كتابه:

اتذكر ابراهيم حق محمد وعترته والحق خير مقل
وادعوه للامر الذي فيه رشده وما هو لولا رأيه بجهول
فان مائر الدنيا فان امامه زلازل يوم المقاب طوبى
ومن شعره الذي يدل على كرم نفسه ولطف حسه:

لو مد صبري بصبر الناس كلهم لكل في روعتي ارض في جزعي
بان الاحبة فاستبدلت بعمدهم هما مقيما وشملا غير مجتمع
كانني حين يجري الفكر ذكرهم على ضميري مجبول على الفرع
تاوي همومي اذا حركت ذكرهم الى جوانح جسم دائم الهلم
هذه الابيات وقع فيها اختلاف في اللفظ وزيادة تركناها

لعدم انسجام المعنى بها. ومن اللطائف الادبية ما حدث به داود
بن القاسم بن عبد الله بن جعفر الاوربي قال شهدت مع ادريس
بن ادريس بعض غزواته للخوارج الصفيرية من البربر فلقيناهم
وهم ثلاثة اضعافنا فلما تقارب الجمعان ترجل ادريس فتوضأ وصلى
ركعتين ودعا الله تعالى ثم ركب فرسه وتقدم للقتال، فقاتلناهم

قتالا شديدا فكان ادريس يضرب في هذا الجانب موة ثم يكر
في الجانب الآخر فام ينزل كذلك حتى ارتفع النهار فوجم
الى رايته فوقف بازائها والناس يتقاتلون بين يديه. فطفقت
انظر اليه وأديم الالتفات نحوه وهو تحت ظلال البنود يحرض
الناس ويشجعهم فاعجبني ما رأيت من شجاعته وقوة بأسه.
فالتفت نحوي فقال ياداود! ما لي اراك تديم النظر إلى؟ قلت
ايها الامام انه اعجبني منك خصال لم اراها في غيرك قال وما هي
ياداود؟ قلت اولها ما اراه من حسنك وجمالك وثبات قلبك
ومن طلاقة وجهك وما خصصت به من البشر عند لقاء عدوك
قال ذلك بركة جئنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعائه اذا
وصلاته علينا وارائه ابينا علي بن ابي طالب رضي الله عنه وكرم
وجهه قلت ايها الامام اراك تبصق بصاقا مجتما وانا اطلب
الريق في فمي فلا اجده قال ياداود! ذاك لاجتماع عقلي وثبات
جاشي، وعدم الريق من فيك لطيش لبك وافتراق عقاك ولما
خاموك من الرعب. قال فقلت ايها الامام وانا ايضا اتعجب من
كثرة قلبك في سروجك وقلة قرارك في موضعك قال ذاك مني
زعم للقتال وغرم وصرامة وهو احسن في الحرب فلا تظنه رعبا

ثم انشأ يقول:

اليس ابونا هاشم شد أزره واوصى بنيه بالطمان وبالضرب
فلسنا نمل الحوب حتى تملنا ولا نشكي مما يؤول الى النصب
ولا كئنا اهل الحفاظ والنهي اذا طار ارواح الكماة من الرعب
ولهذا الامام اثار نثرية بليغة منها خطبته التي قالها باثر مبايعته
وهو ابن 11 سنة وهي:

الحمد لله احمده واستعينه واستغفره واتوكل عليه واعوذ
به من شر نفسي ومن شر كل ذي شر. واشهد ان لا اله الا
الله وان محمدا عبده ورسوله ارسله الى الثقلين بشيرا ونذيرا
وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا صلى الله عليه وسلم وعلى
آل بيته الطاهرين الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم
تطهيرا.

ايها الناس انا قد ولينا هذا الامر الذي يضاعف المحسن
فيه الاجر، والمسيء الوزر، ونحن والحمد لله على قصد جميل فلا
تمدوا الاعناق الى غيرنا، فان ما تطلبونه من اقامة الحق انما
تجدونه عندنا.

ولما فرغ من بناء مدينة فاس وحضرت الجمعة الاولى صعد

المنبر وخطب الناس ثم قال: اللهم انك تعلم اني ما اردت ببناء
هذه المدينة مباهاة ولا مفاخرة، ولا سمعة ولا مكابرة، وانما
اردت ان تعبد فيها ويتلى كتابك وتقام حدودك وشرائع دينك
وسنة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم ما بقيت الدنيا. اللهم وفق
سكانها وقطانها للخير واعنهم عليه، واكفهم مؤونة اعدائهم وادر
عليهم الرزق واعمد عنهم سيف الفتنة والشقاق انك على كل
شيء قدير.

والامير القاسم بن ادريس، لما خرج عيسى بن ادريس
على اخيه محمد، وكتب له محمد يامره بحرب عيسى فامتنع وقال
معتذرا عن ذلك:

سأترك للوأغب الغرب نهبا	وان كنت في الغرب قبيلا ونديا
واسمو الى الشرق في همة	يعز بها رتبا من احبا
واترك عيسى على رأيه	يعالج في الغرب هما وكربا
واوكان قلبي على قلبه	لكنت له في القرابة قلبا
وان احدث الدهر من ريبه	شقاقا علينا واحدا حوبا
فاني ارى البعد ستورا لنا	يجدد شوق لدينا وحبنا
ولم نجن قطعا لارحامنا	نلاقي به ، اخر الدهر عتبا

وتبقى العداوة في عقبننا واکرم به حين نعقب عقبا
واوفق من ذاك جوب الفلاة وقطع المخارم نقبا فذقبنا
وتمجبنني هذه الابيات ويسمو القاسم بها في نفسي سموا
لاحد له فمن ناحية البلاغة اراها في الذروة العليا نصاعة لفظ
ومتانة تركيب وانسجام معنى ومن ناحية الفصد والغرض اراها
تعبير عن نفس كبيرة وهمة عالية مترفعة عن سفاسف الحياة
ومهازلها التي تقطم الارحام وتجلب الموت الزؤام وياليت
الاشراف كلهم كانوا كذلك. ومعلوم ان القاسم كان واليا على
طنجة من قبل اخيه محمد وانه زهد في الولاية لما نشب النزاع
بين ابناء ادريس وانقطع للعبادة رحمه الله ومن شعر ابراهيم بن
ادريس المدعو الموبل وكان قد سكن قرطبة الى ان اخرجته المندصور
بن ابي عامر من الاندلس فيمن اخرجته من اهل بيته بعد قتل
الحسن بن كنون كبيرهم وهذا قوله يخاطب المروانية ويهجو
المندصور:

فيما ارى عجبا لمن يتمجب جات مصيبتنا وضاق المذهب
اني لا كذب مقلتي فيما أرى حتى اقول غلطت فيما احسب
ايكون حيا من امية واحد ويسوس هذا الملك هذا الاحدب

تمشي عساكرهم حوالي هودج اعواده فيهن قرد اشهب
ابني امية اين اعمار الدجى مذكم وما لوجوهها تنقيب
والعجب من علوى يمدح المروانية. وله في هذا الوزن
قصيدة طويلة يمدح بها مؤيد الدولة هذيل بن خفاف بن رزين
صاحب القلاع يقول في اولها:

المسيف في تمذيب نفسي مذهب ولذائب الدهر عندي مطلب
اما ديون الحادثات فانها ——— تأتي لوقت صادق لا تكذب
ايقنت اني للرزايا مطعم ——— ودمي لوافدة المكاره مشرب
فاننا من الافات عرض سالم ——— وجوانح تكوى وعقل يذهب

دولتا زناته ولمتونة

لم يرو لنا التاريخ أثر اشعريا عن امراء هذين الدولتين ونظن انه لم يصدر عنهم شيء من هذا القبيل لغلبة المجمة وعدم استقرار الاحوال في ايامهم حتى ينشققوا ويتادبوا .
ولاكن بعض كلمات شاعرة تزري بقصائد طويلة أثرت عن بعضهم ، ونحن نذكرها هنا رعيما للمناسبة وجمعا للشوارد فمنها ما روى عن زيري بن عطية من امراء الدولة الاولى وقد استدعاه المنصور بن ابي عامر لزيارة قرطبة ، فسار الى الاندلس وقدم بين يديه هدية عظيمة من جملتها طائر فصيح يتكلم بالعربية والبربرية ، ودابة من دواب المسك ومهابة وحشية تشبه الفرس ، وحيوانات غريبة ، وأسدان عظيمان في قفصين من حديد ، وشيء كثير من التمر في غاية الكبر الواحدة ، منها تشبه الحيارة عظما . وحمل معه من قومه وعبيده ثلاثمائة فارس وثلاثمائة راجل فاحتفل المنصور لقدمه احتفالا عظيما وبرز الخاصة والامة للقائه وانزله بقصر جعفر الحاجب وتوسم له في الجرايات والاكرام ولقبه باسم الوزير وافاض عليه اموالا جساما وعجل

بسراجه الى عمله بعد ان جدد له عهده على المغرب وعلى جميع ما غلب عليه منه.

فغبر البحر واحتل بمدينة طنجة فلما استقر بها وضع يده على رأسه وقال: الان علمت انك لي. فاستقل ما وصله به المنصور واستقبح اسم الوزارة الذي سماه به واقطع خاطبه به بعض رجاله فنهاه عن ذلك وقال: وزير من بالكم؟ لا والله الا امير ابن امير! واعجبا لابن ابي عامر ومخرقته! لان تسمع بالعميدي خير من ان تراه. والله لو كان بالاندلس رجل ما تركه على حاله.

ومنها ما روى عن يدو بن يعلى من امراء هذه الدولة ايضا وقد استدعاه المنصور بن ابي عامر كما استدعى زيري ومانس يدو منه الغدر فلم يجبه وقال: متى عهد المنصور حمر الوحش تنقاد للبيطرة؟... ومنها ما روي عن امير المسلمين يوسف بن تاشفين من ملوك دولة لمتونة وقد كتب اليه الفونس السادس ملك قشتالة يهدده ويتوعده. وكان عام باستدعاء ملوك الطوائف له مستنجدين به عليه فاجابه كتابه برسالة طويلة يرد عليه اقواله ومنزاعه. فلما قرئت على يوسف استطالها ووقع له على ظهر كتابه «الجواب ما تروى لا ما تسمع» فمرف انه يلي برجل يفعل

ولا يقول. وعبر امير المسلمين الى الاندلس ووقع بها واقعة
الزلاقة المشهورة التي كتب بها الاندلس حياة جديدة في ظل
الاسلام والعروبة قدر حيانها السابقة.

فهذه العبارات وان لم تكن جارية على قانون الشعر ولا
موزونة بعروضه فهي من معناه في الصميم. وما احوج الشعراء
الى تناولها وعرضها كما يقتضى الفن، فانهم يخرجون منها
فصائد طنانة في الحماسة والفخر وعزة النفس والاباء.

نعم فان للامير ابي بكر بن ابراهيم السوفي المعروف
بابن تافلويت صهر علي بن يوسف بن تاسفين طبعا اديبا رقيقا
وحيث ان مسوفة من صنهاجة التي اليها مرجع اللمتونيين وهو
كان صهرهم وواليا لهم على تلمسان وعلى سرقسطة فانا
نحلي ببعض شعره هذه المصحفة ونجمله مسك الختام لهذه
الدولة، قال في سيف هزه علي بن يوسف المذكور ارتجالا:
هزرت حساما فشبهته غديرا من الماء لاكن جمدا
فلما بدا لي افرونده لهيبا من النار لاكن خمدا
فالولا الجمود والولا الخمود لسا لى الهز اولاً تقدا
وهو بديع لاكن فيه حذف جواب لما ولا يتم حسنه الا بتقديره.

دولة الموحدين

من شعر داعبتهم القوائم بامرهم المهدي بن تومرت قوله:
اخذت بـاعضادهم اذ نأوا وخلفك القوم اذ ودعوا—
فيكم انت تنهى ولا تنتهى وتسمع وعظا ولا تسمع—
ايا حجر السن حتى متى تسن الحديد ولا تقطع—
وسنه في عبد المومن نسبهما له في القرطاس وغيره:
تجمعت فيك اشياء خصت بها فكأننا بك مسرور ومغتبـط
السن ضاحكة والكف مانحة والصدر متسع والوجه منبسـط
والصواب انه تمثل بهما فيه وهما لابي الشيص الخزاعي.
وكان المهدي اديبا كاملا الادوات مولعا بشعر المتنبي. ولولا
اشتغاله بتوطيد قواعد الملك لاني منه شاعر عبقرى. وله آثار
نثرية من كتب وخطب معروفة ولابد المومن بن علي اول خلفائهم
الذي وحد اقطار الشمال الافريقي والاندلس يستنفر العرب
من بني هلال للجهاد:

أقيموا الى العلياء هوج الرواحل وقودوا الى الهيحاء جرد الصواهل
وقوموا لنصر الدين قوة نائـر وشدوا على الاعداء شدة صائـل

فما العز الا ظهور اجرد سابح يفوت الصبا في شدة المتواصل
وابيض ماثور كأن فرنده على الماء منسوج وليس بسائل
بني العم من عاليا هلال بن عامر وما جمعت من باسل وابن باسل
تمالوا فقد شدت الى الغزونية عواقبها منصورة بالائوائـل
هي الغزوة الغراء والموعد الذي تنجز من بعد المدى المتطاوـل
بها يفتح الدنيا بها يباغ المني بها ينصف التحقيق من كل باطل
اهبنا بكم الخير والله حسبنا وحسبكم والله عادل عادل
فما همنا الاصلاح جميعكم وتسريحكم في ظل اخضرهاطل
وتسويغكم نعمى ترف ظلالها عليكم بخير عاجل غير عاجل
فلا تتوانوا فالبدار غنيمـة والمداج الساري صفاء المذاهل
ولا يخفى ما فيه من متانة ورصانة وما يدل عليه من قوة نفس
وشدة باس، مع حسن السياسة وحكمة التدبير وليس ذلك بغريب
من عبد المومن .

قال في المعجب واخبرني السيد (1) حقيقة والماجد خلقا
وخلقة ابو زكرياء يحيى بن الامام امير المومنين ابي يعقوب بن
الامام امير المومنين ابي محمد عبد المومن بن علي انه رأى على

(1) كان لفظ السيد في ايام الموحدين خاصا بالامراء من ولد عبد المومن
فلهـذا يقول فيه السيد حقيقة

ظهر كتاب الحماسة بخط الخليفة عبد المومن بن علي هذين البيتين
وقال اي رحمه الله لا ادري هما له او لغيره:

وحكم السيف لا تبعاً بماقبة وخلاها سيرة تبقى على الحقب
فما تنال بغير السيف منزلة ولا ترد صدور الخيل بالنكتب
ونحن نقول انهما ان لم يكونا له فما اشفهما عن نفسه
واصدفهما تعبيراً عن حقيقته.

وله المساجلة المشهورة بينه وبين وزيره ابي جعفر بن
عطية لما كانا مارين ببعض طرق مراكش فاطلت من شباك
جارية بديمة الجمال تبتدر النظر الى الخليفة فقال:

قدت فؤادي من الشباك اذ نظرت

فاجاز الوزير: حوراء ترونو الى العشاق بالمقل

فقال عبد المومن: كانما لحظها في قلب عاشقها

واجاز الوزير ايضا: سيف المؤيد عبد المومن بن علي

وكان عبد المومن مغرماً بالادب شغوفاً بالشعر بصيراً

بجيده تقادة اردائه فلما كان بجبل الفتح وهو جبل طارق،

سماه بهذه التسمية الشعرية عبد المومن نفسه، ووفدت عليه وجوه

اهل الاندلس ورؤساؤها للبيعة - جالس للناس في يوم مشهود فقال

الشعراء في ذلك قصائد فذة. قال في المعجب وانشده في ذلك
اليوم رجل من ولد الشريف الطابق المرواني، كان شريفا من
جهة امه:

ما للمداجنة اوقى من الهرب
فقال عبد المومن رافعا بها صوته: إلى اين؟ فقال الشاعر
اين المفرو وخيل الله في الطلب
... وانشده في ذلك اليوم رجل من اهل اشبيلية يعرف
بـابن سيد ويلقب بالاص:

غمض عن الشمس واستقصى مدى زحل وانظر الى الجبل الراسي على جبل
انى استقر به انى استقل به انى رأى شخصه العالي فلم ينزل
فقال له عبد المومن لقد اثقلتنا يا رجل!

ولما قتل وزيره ابا جعفر بن عطية امتحن الشعراء بهجوه
فلما اسمعوه ما قالوا اعرض عنهم وقال ذهب ابن عطية وذهب
الادب معه.

فهذه اقوال كلها تدل على ما لعبد المومن من ذوق ادبي
راق، وملاكمة نقدية راسخة. وتعجبني واقعة حال جرت له مع
وزيره ابي جعفر المذكور وهي وان لم يكن فيها شعر فان فيها

تخيلا شعريا جميلا يذم عن ميول كل من هذين الشخصيتين
الادبية، وهي ما حكاه ابو جعفر قال:

دخات على عبد المومن وهو في بستان له قد اينعت
ثمارة، وتفتحت ازهاره، وتجاوبت على اغصانها اطياره، وتكامل
من كل جهة حسنه وهو قاعد في قبة مشرفة على البستان
فسامت وجاست وجعات انظر يمنة ويسرة متعجبا مما ارى من
حسن ذلك البستان. فقال لي يا ابا جعفر اراك تطيل النظر الى
هذا البستان. قلت يطيل الله بقاء امير المومنين والله ان هذا
المنظر حسن. فقال يا ابا جعفر المنظر الحسن هذا؟ قلت
نعم، فسكت عني.

فلما كان بعد يومين او ثلاثة امر بعرض المسكر، اخذني
اسلحتهم وجلس في مكان مطل وجعات المسكر تمر عليه
قبيلة بعد قبيلة، وكتيبة اثر كتيبة لا تمر كتيبة الا والتي
بعدها احسن منها جودة سلاح وفراة خيل وظهور قوة. فلما
رأى ذلك التفت الي وقال يا ابا جعفر، هذا هو المنظر الحسن
لائمارك واشجارك! واخبره في قوة الحساسية وتوقد الشهور
كثيرة معروفة.

ولابنه الامير ابي عمران، وكان استخافه اخوه يوسف
على مراكش فاعتل وغاب ثلاثة ايام ام يره احد، فكتب اليه
القاضي ابو يوسف حجاج:

يغيب البدر يوما ثم يبدو وانت تغيب عن عيني ثلاثا
لئن بلغت ثلاث لا اراك فاست بمدرك يوم الثلاثا
فاجابه الامير ابو عمران بديهة:

اتمتنا مذكم درر فجاءت عجالي اوجبت منا انبعاثا
ولولا العذر من سبب قوى لسرنا نحوكم عزما حثانا
ولاكني اسير بحال ود اليكم مصبحا يوم الثلاثا
وكان هذا السيد من نجباء ابناء عبد المومن وفضلائهم
نقل في المعجب هذه الحكاية من خط يديه عن والده عبد
المومن انه مر في طريقه بين البطحاء (1) وتلمسان عند قفواه
من افريقية (2) بموضع قد التف فيه الدوم فجاء منه دوحة
عظيمة في وسطها رحة نقية فامر ان يضرب خباؤه هنالك وهو
غير منزل معروف فلما نزل ونزلت المساكن واستقر بهم النزول

(1) هي مدينة بقرب شلف جدها عبد المومن بعد الحراب فكانت تنسب اليه

(2) يعني تونس

قال لبعض خواصه اتدرون لم ءاثرت النزول بهذا المكان؟ قالوا لا. قال ذلك لاني بت بهذا الموضع في بعض الليالي جائئاً مقروراً وكانت ليلة ممطرة فما زال هذا الدوم وقائي حتى اصبحت فاردت النزول هنا على هذه الحالة لاشكر الله سبحانه على الفرق ما بين المنزلتين والفصل ما بين المبيتين. ثم قام فتوضأ وصلى ركعتين شكراً لله عز وجل.

اوردت هذه الحكاية لزيادة التعريف بكتابتها اذ كان مجهول الترجمة تقريباً.

ومن شعر يعقوب المنصور واسطة عقد خلفائهم الذي اغنى ذكره عن التعريف به يخاطب العرب وقد لفوا لفهم مع ابن غانية وقرقوش مولى بني ايوب في الشغب عليه بافريقية: يا ايها الواكب المرجى مطيته على غداوة تشقى بها الاكم بلغ سليماً على بعد الديار بها بيني وبينكم الرحمن والرحم يا قومنا لا تشبوا الحرب ان خمدت واستمسكوا! بعرى الايمان واعتصموا كم جرب الحروب من قد كان قبلكم من القرون فبادت دونها الامم حاش الا عارب ان ترضى بمنقصة باليت شعري هل تراهم علموا

بقودهم ارمنى (1) لا خلاق له كأنه بينهم من بينهم عام
 الله يعلم أني ما دعوتكم دعاء ذي قوة يوما فينتقم
 ولا لجأت لامر يستمان به من الامور وهذا الخلق قد علموا
 لكن لا جزى رسول الله عن نسب ينمى اليه وترعى تلکم الذم
 وإن أتيتم فحبل الوصل متصل وإن أبيتم فعند السيف نحتكم
 وكان المنصور فوق أعماله الخالدة عالما أدبيا وخطيبا
 مفوها له فتاوي فقهية مبنية على الاجتهاد وكتاب في الحديث
 سماه الترغيب، وإذا أراد غزوا تولى بنفسه تحريض الجيش
 بالخطب الحماسية والكلمات المؤثرة، وكان يحب الشعر ويشيب
 على المدح كثيرا الا ذات مرة لما رجع من غزوة الارك
 الشهيرة أخت الزلاقة في المظمة، فورد عليه وفود المهنيين
 والشعراء من كل جهة فكان كل واحد منهم ينشد من قصيدته
 بيتا او بيتين لكثرتهم وبترك رفعتها أمامه، فما استتموا الانشاد
 حتى حالت رقاع القصائد بينه وبين الناس ولم يجر احداً حينئذ
 وقال: «منع الجميع ارضي للجميع»
 وله مثل هذه كل كلمة بليغة تطبق المفصل ولا تسترك

(1) هو قرقوش المشار اليه.

بعدها لقائل مقالا، فمنها أن الفدس تهدده قبل عبوره لوقعة
الارك المذكورة فمزق كتابه وقال لرسوله (ارجع اليهم فلناتينهم
بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجهم منها أذلة وهم صاغرون)
إن شاء الله ثم وقع له على قطعة من كتابه الممزق: «الجواب
ما ترى لا ما تسمع»

فلا كتب الا المشرفية والقذا ولا رسل الا الخميس المرموم
ومنها أن قوما من بلاد السودان اهدوا اليه فيلا فأمر لهم
بصلة ولم يقبله منهم وقال: «نحن لا نريد ان نكون اصحاب الفيل»
وطالب من بعض اعيان دولته رجلين لتأديب ولده يكون
احدهما برا في عمله والاخر بحرا في عمله فجاءه بشخصين زعم
انهما على وفق مراده، فلما اختبرهما لم يجدهما كما وصفا فكتب
الى الآتي بهما: (ظهر الفساد في البر والبحر) وناهيك بهذا
دليلا على قوة فطنته ومعرفته

ومما يدل على نضجه الادبي ان الشاعر المجيد ابا بكر ابن
مجير انشد والده يوسف بن عبد المومن قصيدة يهنيه فيها بفتح
منها:

ان خبر الفتوح ما جاء عفوا مثلما يخطب الخطيب ارتجالا

وكان ابو العباس الجراوي الشاعر حاضرا فقطع عليه قوله
وقال: ياسيدنا اهتدم بيت وضاح:

خير شراب ما كان عفوا كأنه خطبة ارتجال
فبدر يعقوب المنصور وهو حينئذ وزير ابيه وسنه قريب
العشرين وقال إن كان اهتدمه فقد استحقه لقله اياه من
معنى خسيس الى معنى شريف. فسر ابوه بجوابه وعجب
الحاضرون. واقواله في هذا الباب كثيرة.

ومن شعر الامير ابي الربيع سليم -ان بن عبد الله بن عبد
المومن قصيدة يمدح فيها ابن عمه يعقوب المنصور:

هبت بنصركم الرياح الاربعة وجوت بسمكم النجوم الطام
واستبشر الفلك الاثير تيقنا ان الامور الى مرادك ترجم
وأمدك الرحمن بالفتح الذي ملا البسيطة نورها المتشمشم
لم لا وانت بذلت في مرضاته نفسا تفديها الخلائق اجمع
ومضيت في نصر الاله مصمما بغريمة كالسيف بل هي اقطع
وكتائب منصوره يحذو بها عزم اذا مضيت له لا يرجع
ماتت بها ارجاء كل تذوفا حتى حسبنا ارضها تتصدع
من كل من تقوى الاله سلاحه ما ان له غير التوكل مفزع

لا يسلامون الى الذوازل جارهم يوما اذا أضحى الجوار يضيع
 لله جأشك والصورم تنتضى والخيل تردى والاسنة تشوع
 كم من قصي الدار عاص قاده حتمف يخب به اليك ويوضع
 ان ظن أن فواره منج له فبجهله قد ظن ما لا ينفع
 أين المفر ولا فوار لهارب والارض تنشر في يديك وتجمع
 اخليفة الله الرضى هنيئة فتعسا يمد به سواه ويشفع
 فلقد كسوت الدين عزرا شامخا ولبست منه انت ما لا يخام
 هيئات سر الله اودع فيكم والله يعطي من يشاء ويمنع
 لكم الهدى لا يدعيه سواكم ومن ادعاه يقول ما لا يسمع
 ان قيل من خير الخلائق كلها فاليك يا يعقوب تومي الاصبم
 ان كنت تملو السابقين فانما أنت المقدم والخلائق تبسم
 خذها امير المؤمنين مديحة من قلب صدق لم يشنه تصنع
 واسلم امير المؤمنين لامة أنت الملاذ لها وانت المفزع
 فالمدح منى في علاك طبيعة والمدح من غيري اليك تطمع
 وعليك يا علم الهداة تحية يفنى الزمان وعرفها يتضوع
 وكتب اليه وهو بحال هجر منه وكانت وفدت عليه
 وفود العرب والغز من بلاد المشرق واستأذنوا في الدخول عليه

يا كعبة الجود التي حجت لها عرب الشام وغزها والسديلم
طوبى لمن أمسى يطوف بها غدا ويحل بالبيت الحرام ويحرم
ومن المجائب أن يفوز بنظرة من بالشام ومن بمكة يحرم
فمعا عنه وأحسن إليه وأمره بالدخول بهم والتقدم عليهم.
وله في جارية اسمها الوف:

خيل لي قولا اين قلبي ومن به وكيف بقاء المرء من بعد قلبه
واوشئتما إسم الذي قد هويته تصحفتما امري لكم بعد قلبه
وله في النسيب:

أقول لركب ادجلوا بسحيرة ففوا ساعة حتى ازور ركاياها
واملا عيني من محاسن وجهها وأشكو اليها ان أطالت غيابها
فإن هي جادت بالوصال وأنعمت والا فحسبي إن رأيت قباياها
وقفت بها أشكوا وأسكب عبرة على غير بين ما علمت انسكابها
فأومت برخص من بندان مخضب وحطت عن البدر المنير نقابها
وقالت أيبكي البين من قد أراده ويشكو النوى من قد أثار غرابها
ولما تضاءت دارها وتباعدت وعافت على بعد المزار خطابها
كتبت اليها أشتكي الم النوى لعلني أرى يوما الي كتابها
وكنيت أرى أن الجواب تملل فقد زاد ما بي ان رأيت جوابها

وله في الطيف

يا أيها الطيف خبر ما الحبيب لدينا
واقتر السلام علينا منا ومنه الينا
وقل له غاب قلبي وأنت تعلم أيننا
فاردد علي فـ وادي يا أمطل الناس ديننا

وله في صفة الروض والخت على الشراب

تنبه ترى ديهـ تمطر ووجه الصباح لنا يسفر
وكالند لكـن كافوره بدا فيه واكتـم العنبر
على حين فل الدجى مدبر وللصبح في اثره عسكر
وبين الغمام ومـطـوره من الروض كالحرب أو اكثر
إذا التاح من برق ذا أبيض تأطر من غصن ذا أسمر
والقطر في جيد غض النقا لآل من الماء أو جوهر
وفي عاتق الروض من سيفه نجاد ولكنه اخضر
كأن الرذاذ على زهـره يفت من السكر أو ينشر
وما عبق الروض طيبا لنا ولكنه الحبيب يشكر
تنبه الى شرب مشمواة يطوف علينا بها جـوذر
يدل صفـاها واشراقها على ان من خـده تعصر

فيا عاشقين على رسلكم من الشرب ساقيةكم أحور
متى تستفيقون من سكر من اذا فزيت خمسه ينظرو
وله في فسقية

انظر اليها وقد سالت جوانبها بالماء سيلا خفيفا دمه يكف
كأنها مقاتلي يوم الوداع وقد لاح الرقيب فلا تجري ولا تقف
وله في التوبة والدعاء

اذا ما ذكرت الله فاضت مدامعي على كل ما فرط فيض السحاب
واذكر يوم الحشر ان جثته غدا وذنبني معي والذنب اخبث صاحب
ولكن أرجي الله في كل حالة وأخشى بما قدمت سوء العواقب
فيا خير من يدعى لكل ملمة وأكرم من يرجى لنيل الرغائب
اقل عترتي اني اتيك تائبا وليس مقيم في الذنوب كتائب
وابو الربيع هذا كان والي بجاية ثم سجلماسة وهو نابغة

بني مومن لم يكن فيهم مثله في هذا الشأن كما قال صاحب
المغرب وكان كاتباً شاعراً اديباً ماهراً وشعره مدون جمعه
كاتبه ابن عبدربه المالقي وله مختصر الاغانى ومن آثاره
الثرية رسالة الى ملك السودان يذكر عليه تعويق التجار:
نحن نتجاوز بالاحسان وان تخالفنا في الاديان ونتفق

على السيرة المرضية وتتألف على الرفق بالوعية ومعلوم أن
العدل من لوازم الملوك في حكم السياسة الفاضلة والجور لا
تمايه الا النفوس الشريرة الجاهلة وقد بلغنا احتباس مساكين
التجار ومنهم من التصرف فيما هم بصدده وتردد الجلالة الى
البلد مفيد لسكانها ومعين على التمكن من استيطانها ولو شئنا
لاحتبسنا من في جهتنا من أهل تلك الناحية، لكننا لا نستصوب
فعله، ولا ينبغي ان ننهي عن خلق وناتي مثله والسلام،
ووقع الى عامل له كثرت الشكاوي منه: «قد كثرت فيك
الاقوال، واغضائي عنك رجاء أن تتيقظ فتتصالح الحال،
وفي مبادرتي الى ظهور الانكار عليك نسبة الى شر الاختيار،
وعدم الاختبار، فاحذر فانك على شفا جرف هاره الى غير هذا
من محاسنه وقد اوعبنا في ترجمته في (الذكريات)

وللامير ابي الحسن علي بن عمر بن امير المؤمنين عبد
المومن يمدح المنصور ويطلب منه ما يقضي به ديونه:
وجوه الامـــــــــــــــــاني بكم سفوره وضاحكة لي مستبشرة
ولي أمل فيكم صادق قريب عسى الله ان يسره
علي ديون وتصحيفهـــــــــــــــــا وعندكم الجــــــــــــــــود والمغفرة

يعني ذنوب قال الناج ابن حموية السرخسي في رحلته
حدثني الشيخ ابو الحسن بن فشتال الكاتب وقد انشدته:
اوحشتني ولو اطاعت علي الذي لك في ضميري ام تكن لي ووحشا
فقال انشدت هذا البيت في مجلس السيد ابي الحسن فقال
لي ولعن حضر هل تعرفون لهذا البيت ثانيا؟ فما فينا من عرفه
فانشدنا:

اترى رشيت علي اطراح مودتي ولقد عهدتك ليس تشنيك الرشا
اوحشتني البيت.

وقال في المغرب كان هذا السيد ابو الحسن قد ولي
مملكة تلمسان وبجاية وله حكايات في الجود برمكية ونفس
عالية زكية كتب اليه السيد ابو الربيع يوم الجمعة:

اليوم يوم جمعه يوم سرور ودءه
وشملنا مفتة رقة فهل ترى أن نجده
فاجابه بقوله:

اليوم يوم الجمعة وربنا قدره
والشرب فيه بدءه فهل ترى أن ندءه

قال ولفظة السيد في المغرب بذلك المصير لا تطاق الا على
بني عبد المومن بن علي.

والسيد عبد الله صاحب فاس من ابيات في الفخر وقد انتحها غيره:

الست ابن من تخشى الليالي انتقامهم وترجو ندام غايات السحائب
يخطون بالخطى في حومة الوغى سطور المنايا في نحور المقائب
وما كنت ادري قبلهم ان معشرا اقاموا كتابا من نفوس الكتاب
ومن شمر خليفتهم المأمون بن المنصور عند ايقاعه باشياخ
الموحدين وتعليق رؤوسهم بأسوار مراکش واشجارها:

أهل الحراة والفساد من الورى يعزون في التشبيه للذكـار
ففساده فيه الصلاح لغيره بالقطع والتعليق في الاشجار
فرؤوسهم ذكرى اذا ما أبصرت فوق الجذوع وفي ذرى الاشجار
وكذا القصاص حياة أرباب النهى والمدل مالوف بكـل جوار
لو عم حام الله سائر خلقه ما كان اكثرهم من اهل النار
واما ننت وتأذى الناس برائحتها رفع اليه ذلك فقال ان
هاهنا مجانين وان تلك الرؤوس حروزم لا يصاح حالهم الا
بها. وانها امطرة عند المحبين وننتة عند المبغضين. وكان ادبيا
فصيحا بليغا ذا نجدة ورأي وحزم الا أن دولته كانت مزاحمة

بابي زكرياء يحيى بن الناصر، أقامه الموحدون منافسا له بإثر
مبايعته لما تخوفوا من ضبطه، ولما بلغه خبر مبايعتهم المذكور
ونكثهم بيعته أنشد:

لتسمن وشيكاً في ديارهم — الله أكبر يا ثارات عثمان
وكان إذا فكر في كثرة الثوار وما آلت إليه الدولة
مهم من الانحلال ينشد مثلاً:

تكاثرت الطباء على خراش فما يدري خراش ما يصيد
ومن آثاره النثرية قوله في رسالة:

«تبا لهمتكم المخطئة، وشيمتكم الراضية بادون خطة، حين
ندبتم إلى حماية أخوانكم، والذب عن كلمة إيمانكم نسقتهم
الافوال وهي مكذوبة، وافقتم الأعذار وهي بالباطل مشوبة،
واقعد أن لكم أن تبدلوا حمل الخرصان، إلى مغازل النسوان،
وما لكم ولصهوات الخيول، وإنما على الغانيات جر الذيول...»
وكانت تصدر منه توقيعات نبيلة فمنها على رقعة
امرأة تشكو بجندي نزل دارها وآذاها: «يخرج هذا النازل
ولا يعرض بشيء من المنازل»

ومن شعر الخليفة عمر المرتضى بن اسحاق بن يوسف بن عبدالمومن

ذليل دمع مقلته دار — على أن الحشا فيها غاي —
ألم ببابكم يبغي شفاء — لءاء البعد فهو له قتي —
أنيلوني رضا منكم — وقربا وحاشا مجدكم أن لا تزيلوا
لئن قطعت سبيل الوصل عنى — خطوط شرحها عندي يطول
فشافم ما اقترفت هوان ذلي — وأعظم شافم أني ذلي —
فحسبي انني عب — د قطوع وحسبك أنك المولى الوصول
وكان هذا الخليفة عالما — ادبيا بارع الخط فاضلا عفيفا

خييرا وله من ابيات في الدعاء:
دعوت لي الله مستطفا — ليصالح مني ما قد فسد
ويصالح نفسي واخلاقها — ويذهب عنها الريا والحسد
فبوق الرياء بها نافق — وسوق المفاف بها قد كسد

الدولة المرينية

اول سلاطينهم الذي استهدف له ملك المغرب بعد الموحيدين يعقوب المنصور بن عبد الحق، ولم يرو له شيء من الشعر وان كان له خطب في حرض الجند على القتال، إذ جاز الى الاندلس مرارا وله بها وقائع مع الاسبان. وكان ينصت الى الشعراء ويقبل مدائحهم ويجزيهم عليها بالآلاف من العين. وكان شاعر دولته عبد العزيز المنروزي وله فيه الملحمة الكبرى التي اولها:

بحمد الله افتتح الخط—ابا وأبدأ في النظام به الكتابا
ولما انشده اياها اجازه عليها بعشرة آلاف دينار واعطى
منشدها الف دينار.

ومن شعر ولده الامير ابي مالك عبد الواحد:
فرقت في الميدان كل مليك وجمعت بين جراءة ونسوك
وجعلت للاسلام حدا مالكا كيلا يعيره العدا بساوك
وهو بديع فما اخرج الاسلام الى من يحمي حدوده في
كل وقت وفي هذا الوقت بالخصوص ليلا يصير حجة على

معتنقيه كما هو الواقع الآن وهذا معنى قولهم ينزع الله بالسلطان
ما لا ينزع بالقرآن. وانى لاعجب بهذين البيتين حتى أرى
أنهما افضل ما قاله ملك مسام من الشعر. وله أيضا:
اجود بما لى لكل العفـاة واقتحم الهول فى المضلات
أقود الجيوش واصلي الحروب واقتطف الهام بالمرهفات
وأحمي ثغوري من أن تنال واغزو وانهب أرض المداة
وكان ابو مالك هذا على غاية العقل والنبل والكرم
والنباهة والشجاعة والحلم محبا فى الاداب والتاريخ مقربا للعلماء
والفقهاء عالما بأنساب بنى مرين وغيرهم من قبائل زناتة ذاكرا
لآبائهم وحرورهم واختص بمجالسة جماعة من اهل العلم والادب،
منهم المنزوي فمن اخباره معه فى اريحية الأدب أنه دخل عليه
فى يوم من شهر رمضان وهو بقصره بحضرة مراكش قال
والسما قد ارتدت بالسحائب والنهار يبكي بالدموع السواكب
كأنه عاشق صد عنه حبيبه ففاضت دموعه عليه وكثر نحيبه،
ولم يرق له مدمع، كأنه لم يبق فيه مطعم، فكان الرعد حسرته
والبرق لوعته وزفوته فقال لى: ما أحسن هذا اليوم، لو كان
فى غير شهر الصوم، فاقترح غاية الاقتراح على وقال قل فيه

شعرا بين يدي، فأنشدته هذا الابيات:

اليوم يوم نواهة وعقار وتقرب الآمال والاوطار
أو ما ترى شمس النهار قد اختفت وتستورت عن أعين النظار
والغيت سح غمامه فكأنه دنف بكى من شدة التذكار
والبرق لاح من السماء كأنه سيف تألق في سماء غبار
لا شيء أحسن فيه من نيل المنى بمدامه تبدو كشعلة نار
لو لا صيام عاقنى عن شربها لخالمت في هذا النهار عذاري
لو كان يمكن أن يمار أعوته وأصوم شهرا في مكان نهار
لكن تركت سروره ومدامه حتى أكون لديه ذا إفطار
ونديرها في الكأس بين نواهد تجلو الهموم بنعمة الاوتار
فجفونها تغنيك عن اكواسها وخدودها تغنيك عن أزهار
فأجازه بخمسمائة دينار وكسوة فنقصه الوكيل من الدنانير
واعطاه كسوة خشنة وكان هذا الوكيل حاجا فشكاه الى الامير
بأبيات منها:

ان كانت الحجاج طرا مثلها لا بارك الرحمن في الحجاج
فضحك الامير وامر بتوقيته حقه وإعطائه مائة اخرى
كفارة لما صنع منه.

ومن الشعر المنشور الذي يزري بقلائد الذهور قول السلطان
 أبي سعيد بن يعقوب الريني وقد سأل كاتبه عبد المهيمن
 الحضرمي عن تهادي المحبين للتفاح دون الخوخ وكلاهما حسن
 المظهر طيب الخبر، شديد الشبه بأخيه، شديد تشبيه الوجيزات
 به لتوخيه، فقال من عند مولانا. فقال ارى ذلك لاشتمال التفاح
 على الحب الذي يذكر بالحب والهوى، والخروخ على الزوى
 الذي يذكر اسمه صفرة الجوى. وربما كان لهذا السلطان شعر
 لان نفسه نفس شاعر الا اننا لم نقف عليه.

ومن شعر الامير ابي علي بن السلطان أبي سعيد يخاطب
 اخاه السلطان ابا الحسن لما تقبض عليه:

أخنى علي زمانني بالاماد كما اخنى علي لبد في صفقة الغبن
 فلا يغرنك الدهر الخثون فكم أباد من كان قبلي يا ابا الحسن
 الدهر مذ كان لا يبقى على صفة لبد من فوح فيه ومن حزن
 أين الملوك التي كانت تهابهم اسد العربين ثووا في اللحد والكفن
 بعد الاسرة والتيجان قد حيت رسومها وعفت من كل ذي حسن
 فاعمل لاخرى وكن بالعرف مؤتمرا واستغن بالله في سر وفي علن
 واختر لنفسك امرا أنت آمره كأنني لم آكن يوما ولم تكن

وله ايضا:

اغالب فيك الشوق والشوق اغلب واطلب منك الوصل والنجم اقرب
وبطمعني قلبي بوصل وانتي سأعلم حقا أن قلبي يكذب
حياتي وموتي في يديك وانتي اموت واحيي حين ترضى وتغضب
فلا الوصل يحينني ولا الهجر قاتلي ولا لي بدلا ولا عنك مهرب

وله ايضا:

مل بانسيم على غصون المندل وانعم بتلك المائسات الميـل
واذا مورت على الديار فسل بها عن راحل عنها ومن لم يرحل
زموا المطى وخافوني بـهـم تجري دموعي في رسوم المنزل
وكان هذا الامير على ما عند ابن خلدون محبا للملم موالما
باهله منتحلا لفنونه وله بصر بالبلاغة واللسان وهو الذي جاب
الرئيس عبد المهيمن الحضرمي لكتابته من سبته لما رأى الايدي
تشير اليه. فلما خرج على ابيه السلطان أبي سعيد ثم تصالحا
كان في جملة شروطه على ابيه أن يبقى الرئيس المذكور في
جملته، وكان قد انحاش الى أخيه ابي الحسن في ايام خروج
أبي علي، فلما سمع أبو الحسن بذلك حلف ليقنتان عبد المهيمن
اذا هو انخزل عنه الى أخيه. فتعير عبد المهيمن ورفع أمره الى

السلطان فأمره بملازمته هو والكون في معيته .. فهكذا تكون
الهمم والتنافس في المالي والمعرفة بأقدار الناس والتكثير من
ذوي الكفاءات رحم الله الجميع.

ومن شمر أخيه السلطان أبي الحسن المريني وهو واسطة
عقدهم وصاحب الذكر المرفوع فيهم:

ارضى الله في سري وجهري وأحمى العرض من دنس ارتياب
وأعطى الوفر من مالي اختيارا وأضرب بالسيف طلي الرقاب
كان السلطان أبو الحسن عالما أديبا متفنا في ضروب
المعارف محبا للأهل لا يفارقون مجلسه ممدحا من الشعراء وقد
اجتمع له من هذين الصنفين ما لم يجتمع لملك في عصره
فمن اندلسيين إلى مغاربة إلى إفارقة والكل يروح في بحبوحة
رضاه ويفوز بالقدر المألى من عطاياها أما ما بناه .. من المدارس
والمساجد والآثار المختلفة فحدث ولا حرج وكلها من الفخامة
بمكان ومما يحكى عنه أنه أمر ببناء مدرسة علمية بمدينة مكناس
وقدم للنظر في بنائها قاضي المدينة فرفم إليه أنه بذر فيها مالا
عظيما. فلما تم بناؤها جاء إليها من فاس ليقف عليها ويرى عملها
فلما رآها أعجبه صمعتها وراقه بناؤها فجلس على كرسي حول

صهريج الوضوء وجيء بالرسوم المتضمنة للتنفيذات اللازمة
البناء ففرقها في الصهريج قبل ان يطام عليها وانشد:
لا بأس بالغالي اذا قيل حسن ليس لما قوت به العين ثمن
ومن شعر ولده السلطان ابي عنان فارس الذي الف ابن
خلدون تاريخه باسمه:

ياراميا بالنبال من غنـج وصائلا بالنصال من دـعـج
وباديا كالهلال في سحب وطافحا من سلافة الفلـج
وباسما عن لاليء نسقت وناسما كل عاطر أرج
رفقا بقلبي فان فيه هوى ولا تطل في الملـال والـحـرج
وله وكانت بيده تفاحة فدخت عليه جارية كان يحبها
فرماها اليها وقال:

خذها اليك هدية من كف ملك مالك
يبيدي العطايا دائما ويبيد شمل الفاتك
وله ايضا:

جسمي اضر به السقام والجفن قد عدم المنام
يا هاجري مني على انوار غرتك السلام

وله في الحكمة:

واذا تصدر الرياسة خامس جرت الامور على الطريق الاعوج
كان الشيخ العلامة الجامع ابو زيد عبد الرحمن الزرودي
رحمه الله يحدثني ان هذا بيت من قصيدة للسلطان المذكور
وقف هو عليها ولا كني ام ارها عند احد وله ايضا وقد دخل
عليه رجل متصالح فلما نظر اليه قال بديهة:

تراهم في ظواهرهم كراما ويخفون المكيدة والخداعا
وكان السلطان ابو عنان فقيها ينظر العلماء الجلة عارفا
بالمنطق واصول الدين وله حظ صالح من علمي العربية والحساب
وكان حافظا للقرآن عارفا بنسخه ومنسوخه حافظا للحديث
عارفا برجاله فصيح القام كاتباً بليغاً حسن التوقيع شاعراً مبدعاً
وله آثار دينية من بناء المدارس والمساجد وغيرها ناهيك
بمدرسته البوعنانية بفاس التي لا تزال تعد من بدائع الفن
والعمارة المغربيين. ومداخل الشعراء له ومناثحه لهم مما يضيق
المجال عن الاشارة اليه فضلاً عن استيفائه.

ومن شعر السلطان ابي العباس احمد بن ابي سالم بن ابي
الحسن وكان شاعراً محسناً بديع التشبيه:

اما الهوى يا صاحبي فألفته وعهدته من عهد ايام الصبا
ورايته قوت النفوس وحليها فتخذته دنيا الى ومذهبها
وابست دون الناس منه حلة كان الوفاء لها طرازا مذهبها
لاكن رايته له الفراق منفصا لا مرحبا بفراقنا لا مرحبا
ومن شعر والده السلطان أبي فارس عبد العزيز وقد نزل
المطر بعد انحباسه:

الله يلطف بالعباد فواجب ان يشكروا في كل حال نعمته
فهو الذي فيهم ينزل غيثه من بعد ما قنطوا وينشر رحمته

الدولة السعدية

اول من قعد قواعد الملك في هذه الدولة السلطان ابو عبد الله محمد الشيخ وكان اديبا متفطنا حافظا متمتع المجالسة كثيرا ما ينشد:

الناس كالناس والايام واحدة والدهر كالدهر والدنيا ان غلبا
وكان يحفظ القرآن وصحيح البخاري ويقول في شرحه
لابن حجر ما صنف في الاسلام مثله. وكان يحفظ ديوان
المتنبي عن ظهر قلب ويحضر على المشاورة ويقول لا سيما في
حق الملوكة وينشد قول ابي الطيب.

ومن جهات نفسه قدره رأى غيره منه ما لا يرى
وكان يقول: ينبغي للملك ان يكون طويل الامل فان
طول الامل وان كان لا يحسن من غيره فهو منه صالح لان
الرعية تصالح بطول امله. وهو والد عبد الله الغالب وعبد الملك
المعتصم واحمد المنصور الذهبي الذين ماكوا بعده على هذا
الترتيب ومحمد الحمران قائد جيوشه وعبد القادر وزيره. فيحكى
ان العلامة اليسميني دخل عليه وحوله بعض بنيه المذكورين فانشد:

فقات عسى ان تبصر بني كائنا بنى حوالى الاسود الحوارد
فاعجب ذلك السلطان واولاده وعلى اريحية هذا السلطان
الادبية لم يرو له شعر.

ولحفيدته الامير محمد بن عبد القادر وكان قدم من مراکش الى
فاس ومعه القاضي الحميدي فبدت له معالم فاس فقال ارتجالا
أخلاي هذا المستقى وربوعه وهاذي نواعير البلاد تنوح
وذاك الملى مطرح الشوق والاسى وتلك منازل الديار تنوح
فقال القاضي:

وتلك القباب الخضراء شبه زبرجد بهن غوان طرفهن جموح
يمسكن كالمود من الروض يانم شذاهن من حول الديار يفوح
والمستقى بصيغة اسم المفعول اسم بستان والنواعير معروفة
وهى الدواليب التى ترفع الماء من الانهر ونحوها.

ومن شعره فى بعض الاسفار وقد ارسات السماء بغيثها
المدرار وكان هو وكتابه عبد الواحد الشريف فقال.
لله اشكو غداة السفح اذ ركفت ايدي المطايا وحادي الريح يحمدونا
فقال الكاتب.

والغيم فى الافق قد ارحى ذوائبه باسهم الودق لا ينفك يرمىنا

فقال الامير.

حتى استوى الماء والاكمام واستقرت معالم الرشداً لا خربت يهدينا
فظلت الخيل في الامواج سابحة سباح السلاحف نحو الارض بهوينا
فقال الكاتب.

والنفس في قلق لبين مألها والشوق بجذبنا والحال يقصينا
فقال الامير.

كاننا لم نبت والوصل ثالثنا حتى غدا الطير فوق السرح يبكينا
وزر هذا الامير لعمه السلطان عبد الله الغالب وكان من
انبل الوزراء واحسنهم مسلكا وله عارضة قوية في النظم والنثر.
ومن شعر السلطان محمد المتوكل بن عبد الله الغالب وكان
اديبا مجيدا.

فقم بنا نصطحب صهباء صافية في وجهها ذهب في وجهه نقط
وانهض اليها على رغم العدا قلنا فان تاخير اوقات الصبا غلط
وله ايضا.

خليلي ما يخفى انحصاري عن الصبا فحلا عقالي قد اضر بي الربط
ولا تحفلا من لام او تلوما فان بحار اللوم ليس لها شط
وقال ايضا.

ساروا وسار فؤادي اثر ظعنهم وخلفوني نحيل الجسم حيرانا

لا افتر ثغر الثرى من بعد بينهم ولا سقى هاطل وردا وريحانا
ومن شعر واسطة عقدهم السلطان ابي العباس احمد المنصور
المعروف بالذهبي قوله في ورودة مقاربة بين يدي مجبوبة له .
ووردة شفعت لي عند مرتعني بدت وقد سجدت لفاتر الحديق
كأن خضرتها من فوق حمرتها خال على خده من غبر عبق
ومن يعرف الحال المنبري الذي يوضع على الحدود يعلم
قيم هذا التشبيه . والمنصور الذهبي في ملوك المغرب كابن
المعتر في ملوك المشرق فقد كان شاعرا بليغا مكثرا بالنسبة
لاهل طبقة بديع التشبيه غريب المذوع مذهب الديباجة وله
عنا الشعر تأليف منها كتاب في السياسة وتدبير الملك اوله
نحمدك اللهم على ما انت من رياسة، وعلمت من سياسة
ووهبت من ملك، ونظمت من سلك، وكففت من اعداء،
وهديت من اراء، ونصلي على مبالغ انبائك، وخاتم انبيائك،
المؤيد باهل ارضك وسمائك، من به اقامت على خالقك الحجة،
وباسانه الصادق نهجت لهم في اتباعها المحجة، صلاة تكون له
كفاء، ولمجده السامي وفاء .

وبعد فلنا حاجة الى تكميل انفسنا في قواها البشرية باستعمالها

في حقائق المعلومات العلمية والنظرية، وعلوم الحكمة العلمية
اولى بنا لما نحن فيه، واعون على ما نجلبه لهذا الامر العلوي
الفاطمي او ننتقيه، فانصرف اولا عنان القول اليها، ولنجلب
بالخيل والرجل في ميدان هذه الطروس عابها، ومن الله نستمد
وعلى عونہ جل وعز نعتمد.

وله غير هذا الكتاب. قال الفشتالي وكان عازما على جمع
اشعار الشرفاء من اهل البيت وافرادها... ففكر في مجموع شعر
من نحو ما نحن فيه. وله كل توقيع حسن، فمن ذلك ما وقع به
لمولاه جوذر فاتح السودان وقد خاطبه بما طلبه ملك السودان من
المصاح على مال معلوم فكتب على خطاب جوذر بخطه (أتمدونني
بمال فما اتاني الله خير مما اتاكم) الآية.

وامر احيائه لدولة الادب واخذه بضم الشعر حتى انهضه
بعد كبوته واجازته للشعراء بالالاف المين وقصد الوفود له من
كل مكان معلوم حتى انه اجتمع عنده مرة ثلاثة فضلاء احدهم
شريف مكّي والاخر مدني والثالث امام الدين الخليلي من بيت
المقدس فانشده الخليلي.

ان امير المومنين احمد بحر الندى وفضله لا يحصى

فطبية ومكة اهلهما والمسجد الاقصى بذاك شهدوا
وقال نصر ك الله انه ام يتفق هذا لما ك قصدت ابالته
فتبسم لذاك واجزل صلاتهم.

ونرجم الى رواية بعض المختار من شعره فمن ذلك قوله
من عنبر الشحر او من مسك دارين بلى ومنه نسيمات الرياحين
مهفف ان تشنى قلت مقتضب من قض نعمان او من كشب يبرين
ذنبى اليه ولا ذنب محبته من اجلها بسهام اللحظ يرميني
ياما أميلحه ظلما رضيت به لو انه دام منه كان يكفيني
معذبي قد حرمت النوم بعدكم فامنن علي بنوم غير ممنون
او مض على ورد ذاك الخد برق فم يعوض الخد من ورد بنسرين
وله ايضا

اقام بقلب في هواه مقالب وأنى له بين الضلوع مقام
فياشادنا مرعاه حبة مهجتي اما لحشا اقامت فيه ذمام
وله ايضا

تبدي وزند الشوق يقدحه النوى فتوقد أنفاسي لظاه وتضرم
وهش لتوديعي فاعرضت مشفقا على كبد حر او قلب يقسم
ولولا ثواه بالاحشا لاهنتها ولاكنها تعزى اليه فترك
عجبت لاساد الشرى كيف احجمت على انه ظبى الكناس ويقدم

وله ايضا

طرقت حماء والاسود خوادر به فتولى في الظبا وهو يسعد
فعلمت اساسا الشرى كيف اقدمت وعلم غزلات النقا كيف تشرد
وقال موريا

ان يوما لناظري قد تبدي فتعلمي من حسنه تكميلا
قال جفني لصنوه لا تلاقى ان بيني وبين اقياك ميلا
وبعث الى جارية كانت مغاضبة له بوردة في زمن النرجس
قطفها من بستان المسرة ومعها هذه الابيات

وافى بها البستان صنوك وردة يقضى بها لما مطلّت وعودا
اهدى البهار محاجرا واتى بها في وقته كيما تكون خدودا
فبعثتها مرتادة بنسيمها تثنى من الروض النضير قدودا
فرضيت عنه واقبلت عليه ، وله مدحا في النبي صلى الله
عليه وسلم .

يا خاتم الارسال جئتكم مادحا فاجعل كفاي منكم عطفة راحم
الانبياء وان اتوا بمنناشسر لاكنها تحتاج منكم لخاتم
وهو بديع رايته منسوب الىه بخط بعض العلماء... وله
غير هذا شعر كثير في التورية والاستخدام واللفظ اضربنا عنه
صفحة لضيق المقام عن تفسيره وبيان نكته وبالجملّة فان هذا

الملك كان بحق مجددا لمجد العروبة في المغرب على رأس
الآلاف فقدس الله روحه وبرد ضريحه.

ومن شعر ولده السلطان أبي المعالي زيدان وكان أديبا أريحيًا:
فتنتنا سواف وخدود وعيون مدعجات رقود
ووجوه تبارك (1) الله فيها وشعور على المناكب سود
أهلكتنا الملاح وهي ظباء وخضمتنا لها ونحن اسود
وله أيضا.

مررت بقبر هامد وسط روضة عليه من النوار مثل النمارق
فقلت لمن هذا فقالوا بذلة نرحم عليه انه قبر عاشق
وكان هذا الشعر في حفلي منذ الصبا من غير نسبة هكذا

مررت بقبر دارس وسط روضة عليه من الاحزان سبع شقائق
فقلت لمن ذا القبر جاووني الثرى نرحم عليه انه قبر عاشق
فقلت سقاك الله ياميت الهوى واسكنك الفردوس اعلى الشواهد
مساكن اهل العشق حتى قبورهم عليها تراب الذل بين الخلائق
وهو من أشعار الف ليلة ليلة.

(1) فيه استعمال تبارك في محل برك مجازاة لقول العامة تبارك الله عليك.

الدولة العلوية

ادام الله سعدها وحرس مجدها

من شعر الامير مولاي محمد بن السلطان مولاي اسماعيل
مخاطبا شيخه ابا عبد الله القسطيني ايام خلافته بسوس
ومتشوقا الى فاس.

الاليت شعري هل انزه ناظري وللنفس اقبال بوادي الجواهر
استم طرفي في رياض انيقة واقطف ازهارا بها كالزواهر
بعيث ترى اسد العرين صريخة وقد فتكت فيها ظباء المتعاصر
وحيث ترى غلب الحدائق سلسلت حديثا صحيحا عن نسيم الازاهر
وقد نسجت كف النسيم عشية دروع مياه بين تلك الذواء
واصبحت الاطياف فوق غصونها فصاحا تقص فوق خضر المنابر
سقى الله ادواحا بفاس عهدتها تفازل انواء الغيوث المواطر
ولا برحت عين تراها قريبة وان قدفت بالقلب جمرة حائر
لك الله من الف بدرعة جسمه وقلب بفاس في قدامة طائر
تراوحه الاشواق في كل ليلة فما بين مزور هواه وزائر
ولو انه يعطى على قدر قدره لكان له ما بين بسر وباسر

فمن مبلغ عني رسالة شيق الى عالم الاعلام صدر الاكابر
 الى العالم النحرير والحجة التي روى فضلها غر السراة الجماهر
 الى شيخنا الاسمي اسمي محمد احملها هوج الرياح العواطر
 احملها - من النسيم تهية الى الماجد الارضى كريم العناصر
 واقطعها الود الصميم وان نأت به الدار عن بحر من العلم زاخر
 فله ما يشكو الفؤاد من الذوى ولله ما تطوي بطون الدفاتر
 اذا ما ذكرت العهد واشتقت للقا جمات فؤادي بين اضلع صابر
 فيادوحة العلم التي عم عرفها جميع البرايا بين باد وحاضر
 وباسيد حملته كل وارد سلامي وقد حملته كل صادر
 وياكو كبا قد حل في افق الهدى فالتقى سناه في عيون المنائر
 الست الذي ان عز في العلم مشكل تلقاه فهم منك في زي باتر
 الست الذي ترتاح كل عويصة الى ذهنه ما بين ناه وءامر
 حنانيك هاض القلب سهم ابن مقله فادمي فهل تروى حديث ابن جابر
 عليك سلام الله ما هاج شيقا بريق وما لاح الصباح لنساطر
 فاجابه الشيخ بقصيدة مطلعها:

خليلي عج بالركب من ام عامر وعرج على كشيان نجد وحاساجر
 وكان هذا الامير يعرف بمحمد العالم لتضامه ومهارته في

العلوم والفنون كالنحو والبيان والمنطق والكلام والاصول فضلا
عن الادب... وخرج على والده بالسوس فظفر به واعيدته
وكانت قضيته من الفتن العظيمة بالمغرب عمت اهل القطر
السوسي وخصت الاعيان من العلماء الذين كانوا يخالطون محمد
العالم هذا ومنهم العلامة ابو عبد الله السنوسي الدلاوي وكان
من اخص خاصته فوشى به الى السلطان وقيل انه من شدة
اتصاله به لا يغيب عنه عزمه على القيام عليك فاعتذر عنه بعض
احبائه بانه كان ينهاء عن القيام وانشد له في ذلك:

مهلا فان اكل شيء غاية والدمر يمسك حيلة المحتال
فالبدر ليس يلوح ساطع نوره والشمس باهرة السنا في الحال
فاذا توارت بالحجاب فعند ذا يبدو تبدو تعزز وجمال
ومن اللطائف الادبية ان الامير الشريف اخا محمد العالم
كتب اليه بقول سيف الدولة:

رضيت لك العليا وان كنت اهلها وقلت لهم بيني وبين اخي فرق
اما كنت ترضى ان اكون مصليا اذا كنت ارضى ان يكون لك سبق
فاقتروح المولى محمد العالم على الشيخ السنوسي الجواب عنه فقال
بلى قد رضيت ان تكون مجليا ويتلو نداكم في الملا من له سبق

ومالي لا ارضى لك المجد كله وانت شقيق النفس ان عرف الحق
ولاكن ذوو الضغن انتحوا ذات بيننا فغادرها افسادهم وبها رنق
ومن نشره ما كتب به للوزير اليمحمدي وقد بلغه انه اثنى
عليه عند والده مولاي اسمعيل:

حيا الله بمنه ركن الدولة الاسماعيلية وسيرها، ومنتهى
هاتيك الحضرة السامية ووزيرها، مطلع انوارها، ومعدن اسرارها
ابي العباس اليمحمدي هذا ولا زائد سوى تأكيد ود صفا مشربه
وطاب اعذبه، واعلامك بان بعض محبيك كاتبنا بجميع ما
قلته فينا، وما صدر منك الينا من الصنائع والاحسان، فقد
احسنت ابا العباس ولم يتقدم لك منا احسان، وقمت في نصرتنا
مقاما لم يقم معك فيه انسان، وقد اسديت والله شكور،
واتجرت تجارة لن تكسد ولا تبور... ومن قبل كنا بحقك
جاهلين وعن قدرك ذاهلين. والان تبين الحق، وحصص
الصدق، واتضح الكهام من الحسام، والصيب من الجهام...
قدم على ذلك ادام الله سيادتك، وابقى بمنه مجادتك والسلام
ومن شعر اخيه الامير زيدان

لم انس يسوم زارني قسري فكل الانس به اذ جالس

قبلت منه الحـمد مختلـسا وانما العـيش الشهـي خـاس
وملت للشفـر على غـرة منه فما اطـيب ذاك اللـحس
فجـاد لي بالربـق حـيث درى اني عـليل لا اطـيق النـفس
وبت نـشـوان بـمافـي— اغتـنم الفـرصـة عـند الغـاس
ومن شـعر السـلطان الـاسـبق المـولى عـبد الحـفيظ رـحمـه الله
في حيوان كان عنده ومات

سـكـبت دـمـعـها فـهـاجـت مـآفـى وتـدائـت وروـحـها في التـراقـي
برهـنت لي عـن ودهـا وقـديـم الـمـهـد مـنـها بـشـدة الـشـفـاق
او قـدـت بـفـراقـها نار وـجـدي لـيت شـعـري هـل التـفـرق راق
افـزعـتني بـغـشـة قـد علـتـها— فـهـرعت لـضـمـها واعـتـاق
ثم ناديت (باحـزام) لادري هـل لروح تـماسـك بـاعـتـلاق
فاصـاخـت الى كـلامـي ولبـت ما عـلى المـيت ان ابـي مـن شـقاـق
امـتـثـالا لـما دـعوت اجابـت وابـانـت صـداقـة في السـيـاق
ثم جـادت بـنـفـسـها واستـراحت مـن الـيـم المـذاب والارهاق
فـدـفـعت بـها الى التـرب حـفظـا لـحـقـوق اكـيـدة المـيـثـاق
تـكـفـت الارض كل حـي ومـيت فـالـثـرى لـجـسـومـنا كـالطـبـاق
يا مـنـايا هـلا رـمـيت سـها— نـحو مـا شـيدوا حـصـون النـفاق

وتوكت سليمة الصدر من كما نت الى الموت من أحن الرفاق
كذت قدما اذب عنها ولاكن ما من الموت ان اتى من واق
وهي قصيدة طويلة تخيرت منها هذه الابيات واخبرني
احد خدام السلطان وهو الذي مكثني بشعره هذا ان الحيوان
المرثى كان كلبه وهو ظاهر من اوصافه في الشعر وله ايضا
في شكوى الحال من قصيدة:

اليك رفعنا الامر يا مانع الاذى فقد هالنا حزن الغواة بما ابدى
تمالاً اهل الكفر عنا بقوة ولم يرقبوا للظلم إلا ولا عهدا
اذا علموا من ينتمى لمحمد تراهم لفرط الغيظ في حربهم أسدا
وما ان يرى لمسلم من كرامة وان كان طول الدهر يخدمهم عبدا
تراعوا بعدل في القديم بخدعة قلما اتوا نلنا المهانة والنكدا
بعضم وشتم في العباد وربها فما عظموا جمعا ولا رحموا فردا
كانهم قد وكوا بمهانة لمن في سبيل الحق يتبع الرشدا
وما في سجايا الروم عفو وعفة ولا يبذلون الوسع في الحلم والجهدا
وحوش اذا تظفريداهم وان تخب تراهم كذيب الغاب يلتهمس العودا
اسأنا بفعل الذيب جهلا وغفلة بجودك ارجو ان تمحى وان اهدى
اليك سالنا العفو والصفح منة كما قدر جونا النصر والعز والرفد

بذلي وفقري قد رجوت اجابة لتكشف بلواي وتمنحني البعدا
فقد طال مكثي بالبلاد وانسى لا علم ان الجنس من ابغض الاعداء
مرادهم نيل الرفيع اهانة وان يجعلوا للكفر في شرعهم مجدا
فطنت وقلبي كاره لوصالهم وهل يؤلف الخب اللئيم وان اسدى
تكبرت عنهم راجيا ان كيدهم يعود هباء والخسارة قد تفدى
وقد كتب على قوله وتمنحني البعدا يعني منهم وله من
قصيدة يتأسف على فراق المدينة:

لهف نفسي على سعاد رجال تنظر الجود من سماء الوجود
لهف نفسي على بقاع رباها مهبط الوحي للذي الودود
ازفت رحلة الذوى فدعاني باعث الشوق موشدا للعود
كيف يسعى الى لظى ذو ذكاء بعد ان كان في جنان الخلود
هذه طيبة تنادي جهارا منهلي العذب سائغ للورود
ان من بعش عن هواها ويصبو لسواها لبضعة من ثودود
وله من قصيدة نبوية:

خذوا واقبلوا هذا المعيب بفضلكم فغيركم لا يقبل العيب والادنى
فانتم كرام العالمين ومن يرى به البعض منكم فهو من ذلك المغنى
على الحب ما عشنا ونسأل ربنا دواما على حب الحبيب وان متنا

له الحكم فى ابداننا ونفوسنا وما شاء محبوب الغرام فقد شئنا
فمن لم يكن يهوى الرسول وحزبه ويعلم ان فى المحبة ما يجنى
مصاب عليه الموبقات تراكت وقد نال مقما بالبعد الذي افنى
واسماره كثيرة وقفت على جملة صالحة منها ومكانته في
العلم اشهر من ان تعرف وتآليفه نظما ونثرا مطبوعة مشهورة
لا حاجة الى التنويه بها.

هؤلاء هم الامراء الاشراف الذين روي لهم شعر من
نظمهم... واما من هم مظنة قول الشعر ولم تقف على شيء من
نظمهم فكثير مثل السلطان مولاي رشيد اول من مهد لكم
وقضى على المنازعين لهم وكان على جانب من العلم والادب
محباً لاهل الفضل مختصاً بمجالستهم كثير الاحسان اليهم...
فعلمى ان العلامة ابا عبد الله محمد الم رابط الدلاوي حضر يوماً
بمجالسته وذلك بعد الايقاع بنراويتهم وتغريبهم الى فاس فانشد
السلطان معرضاً بالمدح قول ابي الطيب المتنبي:

ومن نكد الدنيا على الحمران يرى عدوا له ما من صداقته بسد
ففهم ابو عبد الله الم رابط اشارته فقال ايد الله امير المؤمنين
ان من سعادة المرء ان يكون خصمه عاقلاً فاستحسن الحاضرون

حسن بديعته ولطف منزعه . وفي الحكاية دليل على ادب
السلطان ومعرفته بالشعر لحسن ابراده لهذا البيت وموافقة تماثله
به لواقع حال الم رابط الدلاءي .

وهذا السلطان هو الذي اجاز احد أدباء الجزائر بالسقي
دينار على بيتين من الشعر مدحه بهما وهما :

فاض بحر الفرات في كل قطر من ندى راحيتك عذبا فواتنا
غرق الناس فيه فالتمس السبيل خلاصا فلم يجد فماتنا
ومثل السلطان سيدي محمد بن عبد الله واسطة عقد هذه
الدولة في التدبير والحزم والسياسة والحلم والرأي والفهم
والفقه والعلم وهو ممدوح ابن الوقان بقصيدته الشمة مقيمة المشهورة
وكم كان يحرص على نشاط الحركة العلمية والادبية في بلاده
وهو صاحب فكرة تنظيم القرويين وتجديد طرق الدراسة بها
مما لو استمر العمل به منذ زمانه الى الان لاتي بنتائج باهرة
للعيان وله مع ذلك تأليف فذة في الحديث والفقه معروفة .

ومثل السلطان العادل العالم مولاي سليمان فان له اثارا
نثرية مهمة من خطب ورسائل وتأليف لا يبعد معها ان يكون
له شعر .

ومثل السلطان المقدس مولاي الحسن فانه كان عن جانب
من العلم والادب وتصدر عنه التوقيعات المليحة كتوقيعه للطلبة
وقد كتبوا اليه يستأذنونه في اقامة نزهتهم قبل الابان وهو
بفاس عسى ان يحضرها فوقع لهم (حتى اذا اخذت الارض
زخرفها وازينت وظن اهلها انهم قادرون عليها اتاها امرنا)
وتوقيعه لاهل فاس لما رفعوا اليه اعتذارهم عما كان منهم من
الشغب قائلين ان ذلك من فعل السفهاء فوقع (السفيه اذا لم
يند فيه مامور).

ونقف هنا ونترك المجموعة مفتوحة لضم اشعار الذابغين
من امراء دولتنا العلية في المستقبل فان مرور الزمن عليها لا
يزيدها الا فتوة... نسأل الله تعالى ان يبقئها على الدوام رافعة
لراية العروبة والاسلام في هذا الوطن العزيز.

تكميل

بعد ختم الكتاب وتقديمه للحضرة الخليفة الكريمة، اطلنا
على طرفة أدبية جميلة خليقة بان نجعلها مسك الختام في هذا
المقام وهي الخطاب الذي وجه به نقيب الاشراف العلويين
بمكناس العلامة الاديب الكبير مولاي عبد الرحمن بن زيدان
الى حضرة صاحب السمو مولانا الخليفة الماعظم وما اجابه به على
لسان صاحب السمو معالي وزير الاوقاف العلامة الاديب البليغ
السيد محمد بن عبد القادر ابن موسى. ونص الخطاب:

خليفة عرش مغربنا المفيدي وبضعة بيت مملوكة سمى
على القدر اعنى ابا على ورب الفضل والحق الزكى
ومن اضحت شمائله كروض ارض فاح بالارج الذكى
تحدثنا الركايب عنه خيرا وتنبىء كيف حال الاممى
وتبدي المحاسن من حلاه وتخبرنا عن الشرف البهى
عليك سلام ربي والتحيات ينم كباها كالمسك الشذى
وبعد فكم طمحت الى مزار به (حسن) المآثر والسمى
ولما لم تف الاقدار منزهه على شوق شديد بالقصى

بعثت اليك مني بالتحايا — تحايا الخلل للخل الصفي —
 يهب مع العسا في كل صبح ويحملها نسيم بالمشي —
 قد كان روع البال وهيج الببال ما سمعناه من انحراف
 طراً عليكم في المزاج ازعجنا والله غاية الازعاج في حال كنا
 فيه سواسية في المرض، واعتراض داء عرض لم يكني معه
 تحريك يراعة ولم يسعني الا مد كف الضراعة لمن يكشف
 الاسواء وينزل الدواء وليس الا رب العالمين الذي خلقني فهو
 يهدين والذي هو يطعمني ويسقين واذا مرضت فهو يشفين
 فما هو الا ان حف الجميع بالطافه الخافية واسبل على الكل
 رداء العافية من منه سبحانه تترى فحمدا لله وشكراً ثم زاد
 في سروري ومضاعفة جبوري تحقيق امنية كانت في سر
 الخفاء مطوية لم تبرزها الاقدار الا في هذا المضمار وهي ما
 نعلمه من مولانا ونعمة الله التي اولانا مفخرة الاجيال والعصور
 سيدنا الامام المنصور ابد الله نصره وزين بامثالكم نخبة اقاربه
 عصره وهي محبتكم الخاصة التي كان لا يعلمها الا الخاصة
 فيادرو ما ونى واظهرها علنا بايقاد وفد من اعيان عصره
 وخواص قصره فكان خير وفادة في واجب العيادة تنويها

بقدركم المذيق وزيادة رفعة لمكانكم الشريف ثم اب وكله
السنة شاكر وثناء عاطر مما رأى من الابد والكرم المعتاد
وحسن شيم شنشنة اعرفها من اخزم فتضاعف لنا السرور
واتلج ذلك النبأ منا الصدور فالله تعالى يملئ مزاركم ويبدني في
أطيب الساعات مزاركم ويبقيكم في خصب العيش ومربعه
وبين مرأى الله ومسمعه وعلى خالص الولاء المستدام والمحبة
والسلام في فاتح المحرم الحرام فاتح عام 1361.

وهذا نص الجواب:

خطيب الدهر فاجأ بالفري وقام على انامل شه—رى
يفيض على النهى اعراب كعب وبسلبها بلحن البحة—رى
اذا اجرت شعاب الفكر شوطا جرى الوادي فطم على القري
وان اشجت رقائقه بشـدو فياويح الشجى من الخـلى
الان بيانه شرد القوافى فافرغها بطبع جـوه—رى
وابرزها خرائد سافـرات وفصلها فرائد في حـلى
فاما اشرقت في السمع درا ونزهت النواظر في غـرى
فما زهر الحمائل في زهو ولا قد الحسان بسمه—رى
ادار بها على الاحباب كاسا تمت الى الرحيق بسكـوى

فاثق من اعنتها عصبيا — ابو زيد بن زيدان السري
 عليه من التحية الف الف تطيب مع السلام العنبري
 يهز بها الذسيم ردا أخيه (عبير الاس) من فود جوى
 يقوم به الطموح الى مزار ويقمه القصور عن القى
 فبت من التشوق ما اجدت وشائج السرارة بالسوى
 وقدم عذره والذرفج — ر يذود الشك بالصبح الجلى
 واعان كامن الاشفاق مما اراح بكشفه لطف السولى
 واخاص في الدعاء بظهر غيب يروحه بقصد اريحى
 الا لله ما صنعت رقاه — بما افورغن في سمع الذجى
 وما ابدى من سحر حلال وما اصفين من ود وفى
 اثن حلاه مانحه باطلف واورثه الفضائل عن عالى
 وما كره رقاب القول فصلا وايدى بفكر الم — ي
 وجرده لتاج الملك عضب — ينافع عن حماه العبقرى
 فكهم سارت مآثره بشرق وكم جالت بقطر اعجمى
 وكم ظهرت ظهور الشمس رادا ترود الحق بالامد القصى
 وكم سفرت وبالا لطاف لين وكم لله من لطف خفى
 تلقينا من كتابكم المحيط باطراف الابداع الجامع بين بهجة

الابصار ولذة الاسماع ما يتلقاه الظمان من العذب الزلال ويستشعره
الطبع السليم من روائع السحر الحلال اشرفت المحاسن من افق
شرفاته ووقفت الابصار بعرافته فاحلها الرياض النضرة بين
يمن بآياته وأنس الفاته فان اعتدل المزاج ببركة آياته المتلوة
وتحقق العلاج من انفاسه الطيبة ونفائسه المجاورة فما هو الا اثر
من آثار علم اعلام عصره والحجة البالغة على الامصار لابناء مصره
الحال من عمود النسب الشريف بين مسجده ونجده ومن البيت
الكريم المالك ما بين المطف والرعاية من افياء قصره:
وهل ينبت الخطى الا وشيجه وتغرس الا في منابتها الذخيل
حرس الله به للفصل كماله والذيل خلاله والشرف الرفيم
ما يتيم فروضه ويؤيد انفاله والسلام عليه ورحمة الله وفي
18 صفر الخير عام 1361.

[REDACTED]

[REDACTED]

كنون

اسماءنا الشعراء

92108
K16-A
C-2

93.7102.1654

كنون، عبد الله
امراؤنا الشعراء

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01036861

892.7109

G198uA

C.2